

[بين المادية والروحانية]

إعداد الباحث:

[عبد الحي عباس]

الملخص:

تتناول هذه الرسالة موضوعاً عميقاً يرتبط بعلم الفيزياء والكون، حيث تُثبت أن النظام والتنظيم الموجودين في الكون، بما في ذلك بنية الإنسان، لا يمكن أن يكونا نتاجاً للمصادفة. تشير المعادلات الرياضية، على وجه الخصوص، إلى عدم إمكانية الاعتماد على الصدفة لتفسير الظواهر الكونية. كما يثير القانون الثاني للديناميكا الحرارية والذي يتناول مفهوم الانتروبيا، تساؤلات حول العشوائية في الكون.

يستشهد الكاتب بفيرنر هايزنبورغ، الحائز على جائزة نوبل، وما قاله عن العلم حيث يؤكد أن إدراكنا للعلم قد يؤدي ببعض الأفراد إلى إنكار وجود الخالق، ولكن الإيمان يبقى في أعماق التجربة العلمية.

يتحدث الرسالة أيضاً عن حدود فهمنا للواقع، حيث تعتقد الحواس البشرية أنها تعكس الحقيقة، بينما هي بالأساس تصنع عالماً افتراضياً. الألوان والأشكال التي نراها هي نتاج مما تلتقطه أعيننا، كما أن الأصوات تنشأ من تفاعل الأذن مع الموجات الصوتية. وفي ظل هذا الفهم، تصبح حقيقتنا ومفاهيمنا حول الزمان والمكان موضوعات مشكوك فيها.

يدعو الكاتب إلى التفكير في فكرة التشابك في العالمين الدقيق والكوني، مشيراً إلى أن الزمان والمكان قد يكونان جزءاً من هذا العالم الافتراضي. علاوة على ذلك، يتضح الآن وجود كيانين لكل فرد: كيان مادي مكون من ذرات وجسيمات أولية، وكيان آخر يشتمل على الوعي، مما يكشف عن اختلاف في البنية الأساسية بين الإنسان وكل شيء مادي آخر.

يؤكد الكاتب على أن هذا الفهم العلمي لم يتوقف عند حدود الماديات بل يشير إلى وجود وعي يمتلكه الإنسان، وهو ما يميزه عن الوحدات الأساسية التي تشكل الكون. هذا الإطار يعزز فكرة وجود بُعد أكثر عمقاً في فهم الوجود الإنساني، بعيداً عن سطحية الرؤية تجاه الكون.

في الختام، تتناول الرسالة دور العقل والوعي في فهم واقع الكون، مما يدعو المثقفين إلى إعادة التفكير في أساسيات الفهم العلمي والإيماني بوجود واقع أعمق من مجرد الظواهر المادية التي يدركها الإنسان.



<https://doi.org/10.62690/ijssp2415>

[Between Materialism and Spirituality]

Researcher:

[Abdul Hai Abbas]

Abstract:

This message addresses a profound topic related to the sciences of physics and the universe, demonstrating that the order and organization present in the universe, including the structure of human beings, cannot be the result of chance. Mathematical equations, in particular, indicate that relying on randomness to explain cosmic phenomena is not feasible. Additionally, the second law of thermodynamics, which deals with the concept of entropy, raises questions about randomness in the universe .

The author cites Werner Heisenberg, the Nobel Prize laureate, and his remarks about science, emphasizing that our understanding of science may lead some individuals to deny the existence of a creator, yet faith remains deep within the scientific experience .

The message also discusses the limits of our understanding of reality, where human senses believe they reflect the truth, while they essentially create a virtual world. The colors and shapes we see are the result of what our eyes capture, just as sounds arise from the interaction of our ears with sound waves. In light of this understanding, our reality and concepts of time and space become subjects of doubt .

The author invites reflection on the idea of entanglement in both the microscopic and cosmic realms, suggesting that time and space may be part of this virtual world. Furthermore, it becomes clear that there are two entities for each individual: a material entity composed of atoms and subatomic particles, and another entity that encompasses consciousness, revealing a fundamental difference in the structure between humans and all other material things .

The author emphasizes that this scientific understanding does not stop at the boundaries of materialism but points to the existence of consciousness possessed by humans, which distinguishes them from the basic units that make up the universe. This framework reinforces the idea of a deeper dimension in understanding human existence, moving away from a superficial view of the universe .

In conclusion, the message addresses the role of the mind and consciousness in understanding the reality of the universe, urging intellectuals to rethink the fundamentals of scientific and faith-based understanding of a reality that is deeper than mere material phenomena perceived by humans.

المقدمة:

رسالتي هذه للمثقفين الذين تعمقوا نسبياً في علوم الفيزياء والكون، وتابعوا مستجداتها، حيث يدرك هؤلاء أن ما أصبحنا نعرفه من تنظيم وتنفيذ في هذا الكون وفي بنية الإنسان لا يمكن أن يكون نتاج مصادفات اجتمعت إذ أن ذلك ترفضه المعادلة الرياضية لاحتمال حدوث المصادفة، كما يرفضه إلى حد كبير القانون الثاني في الفيزياء الحرارية الميكانيكية (إنتروبي). يقول فيرنر هايزنبورغ الحائز على جائزة نوبل لنظريته في ميكانيكية الكوانتا (Uncertainty) " من يرشف أول رشفة من كأس العلم ربما قاده ذلك إلى إنكار الخالق لكن الإيمان ينتظره في قعر الكأس".

لقد أصبح مؤكداً ومنذ زمن ليس بالقصير أن معلوماتنا هي معلومات افتراضية لا علاقة لها بالحقيقة، صنعتها حواسنا وأجهزتنا. الألوان والأشكال صنعتها عيوننا، الأصوات بأنواعها صنعتها آذاننا، وثبات الأرض تحت أقدامنا صنعه جهاز التوازن فينا (الأذان والعيون والأعصاب). الأرض تدور حول ذاتها وحول الشمس، وهي والشمس حول مركز مجرتنا، ومع مجرتنا حول مركز مجموعتها من المجرات بسرعة 600 كم في الثانية، تقوم بدورها في سمفونية الكون (فيثاغوروس)، ونحن نحسبها ساكنة.

أهمية الدراسة:

يشكل العلم، بصفة عامة، أحد دعائم التفكير العقلاني والمنهجي في تفسير الظواهر التي تحيط بنا. وعندما نتحدث عن علوم الفيزياء والكون، فإننا نطرق إلى أعماق جوانب المعرفة، التي تتناول طبيعة الوجود وتركيبية الكون ذاته. وكما أشار العديد من العلماء والفلاسفة، فإن فهمنا لهذه العلوم لا يتوقف عند حدود المعرفة البسيطة، بل يفتح آفاقاً جديدة للتفكير الذي يتجاوز المصادفات ويقودنا نحو فهم أعمق لمكانتنا في هذا الكون الفسيح.

إن الرسالة الموجهة للمثقفين الذين تعمقوا في علوم الفيزياء والكون تحمل أهمية خاصة، إذ تبرز الحاجة الملحة لاستيعاب مفاهيم مثل الاحتمالية، والتنظيم، وانتروبي الحرارية. عندما نناقش الاحتمالات الرياضية، نجد أنها تُرفض بشدة النصوص التي تفترض أن الكون يمكن أن يكون نتاج مصادفات عشوائية. وذلك لأن الاحتمال نفسه يتطلب شروطاً معينة وصحيحة لحدوث الظواهر، مما يعكس النظام الكامن وراء الكون.

أحد أبرز العلماء الذين تناولوا هذه المسائل هو فيرنر هايزنبورغ، الذي عبر عن فكرة معقدة تتعلق بعلاقتنا بالعلم والإيمان. إذ يؤكد أن من يتناول العلم بشكل سطحي قد يقوده ذلك لا محالة إلى إنكار وجود الخالق، لكنه يشدد على أن الإيمان في جوهره موجود بعمق، ينتظر اللحظة المناسبة ليظهر في قلوب الناس. هذه الرؤية تعكس جوهر النزاع بين العقل والإيمان، وبين المنهجية العلمية وما يحمله من تأملات فلسفية وروحية.

تشير العلوم الحديثة إلى أن إدراكنا للواقع ما هو إلا نتاج تفاعلات معقدة بين حواسنا وأجهزتنا. الألوان والأشكال والأصوات ليست سوى تفسيرات لما يدركه عقل الإنسان من خلال الآذان والعيون. فمدى فهمنا للكون يعتمد على كيفية معالجة عقولنا للإشارات المستمدة من هذا الواقع. وهذا ينطوي على ضرورة الاعتراف بأن معلوماتنا، التي نظن أنها تعكس الحقيقة، قد تكون مجرد تمثيلات افتراضية.

وبالانتقال إلى طبيعة الكون نفسه، نجد أننا نعيش في نظام متكامل من الحركات والتفاعلات. الأرض، على سبيل المثال، تدور حول الشمس في نظام دقيق يأخذ بالحسبان العديد من العوامل الفيزيائية. هذه الحركة، التي قد لا

نشعر بها بوضوح، تشير إلى مدى التعقيد الدقيق الذي يتمتع به الكون. بينما نحن نظن أحياناً أن الأرض ثابتة، فإن الحقيقة العلمية تكشف لنا عكس ذلك، مما يستدعي منا إعادة التفكير في مفاهيمنا عن الثبات والتحول.

الإطار النظري:

ثم إن علومنا مهما تطورت وازدادت فهي تعمل ضمن ساحة محدودة لا تستطيع تجاوزها، تحددتها عوامل عدة، كما يقول تشومسكي عالم اللغة والاجتماع في هارفارد.. يوافق في ذلك دونالد هوفمان Donald Hoffman وهو أستاذ علوم الإدراك (Cognitive science) في جامعة كاليفورنيا في كتابه (The Case Against Reality) وهو يقول: " إن ما تعطينا حواسنا هو ببساطة عالم افتراضي يفيدنا في القيام بدورنا في تمثيلية الحياة، وهو رمز لا علاقة له بالحقيقة العميقة للرموز، وقد يكون هذا التعبير الرمزي مختلفاً لدى الآخر".

وحديثاً نسبياً اكتشفنا أن تلك الوحدات المتناهية في الصغر، والتي تتكون منها مادتنا. تملك صفة صعبة الفهم سميها التشابك (Entanglement) وهي غريبة على أسلوب تفكيرنا عن الزمان والمكان، هي تشير إلى أن الزمان والمكان ربما كانا أيضاً من المعلومات الافتراضية.

الأمر الآخر أنه أصبح من المقبول، وربما المؤكد، علمياً أن لكل منا كيانات، كيان مادي يتألف من وحدة بناء هي ذاتها التي تُبنى منها كل موجودات الكون المادية، أنت وأنا وهذا الكتاب والقنبلة الذرية، ذرات المادة وما تحت الذرات، (فوتونات، الكترونات ...). وحدات تتأرجح بين المادة والطاقة، ولقد أصبحنا نعرف الكثير عن القوانين التي تحكمها، وما المادة إلا طاقة مضغوطة. عند الانفجار الكبير (Big Bang)، الذي يُعتقد اليوم أنه كان بداية الكون، كان الكون مؤلفاً من طاقة (Energy) شديدة الحرارة جداً لا ندري مصدرها، أخذت تبرد وتتكاثر تدريجياً مشكلة العناصر المادية الخفيفة أولاً ثم الثقيلة. وحديثاً أصبحنا نستطيع الحصول من قليل من المادة على كمية كبيرة من الطاقة والتي وضع معادلتها أينشتاين، استخدمنا علمنا هذا لصنع القنبلة الذرية ورميناها على بعضنا تدمر الحجر والبشر بالجملة لنروي طمعنا المادي. يقول دونالد هوفمان ، إن وحدات البناء هذه، والتي نعرف عنها الكثير، لا تملك وعياً (Consciousness)، وليس لها أن تملك وعياً مهماً تغير أسلوب وشكل بنائها، والإنسان يملك وعياً، إذا لا بد من أن يكون في الإنسان كيان آخر له وحدة بنائه المختلفة سماها عامل الوعي Conscious (Agent) ، ولقد أصبح هذا الكيان برأي علماء الفيزياء هو الكيان الأساسي. يقول Eugen Wigner عالم الفيزياء والرياضيات والحائز على جائزة نوبل: "إن الدراسة المعمقة عن العالم الخارجي، وكذلك نظرية ميكانيكية الكوانتا تشيران إلى أن الوعي هو الحقيقة الأساسية". Shrodinger وهو عالم فيزياء إيرلندي حاز على جائزة نوبل لمعادلته في ميكانيكية الكوانتا وBohr، وهو عالم فيزياء دانماركي، حاز أيضاً على جائزة نوبل، استنتج أن الوعي أساسي لأي فهم صحيح للحقيقة.. والمراقب يجب أن يكون ذا وعي وبدون مراقب واع لا وجود للزمان والمكان. ويقول Max Plank وهو عالم فيزياء ألماني حاز على جائزة نوبل "أنا أعتبر أن الوعي ليس فقط أساسي في الوجود الإنساني وإنما هو الحقيقة التي لا جدال فيها أكثر من الكيان المادي والذي هو مركز الدراسات، ويبقى الوعي سرا والبحث فيه محبطاً (Frustrating) حيث لا تعمل فيه الطرق العلمية المعروفة، وأنا أعتبر أن الوعي هو الأساس والمادة مشتقة منه." سئل أينشتاين عن رأيه في الإله فأجاب "أنه يجب أن يكون هنالك شيء خلف الطاقة (Energy)"

يقول Robert Lanza في كتابه (The Grand Biocentric Design) وهو طبيب وعالم فيزياء أميركي ويعتبر الآن من أهم علماء العالم " إن الأحلام وما نعتبره حقيقة أثناء اليقظة هما من نفس الطبيعة، وهذا رأي له ما يؤيده في نظرية ميكانيكية الكون . أثناء الحلم أنت تدخل عوالم أخرى مختلفة وتنتقل من حقيقة إلى حقيقة أخرى."

في تجربة الشق المزدوج (Double Slit Experiment) الشهيرة في الفيزياء الذرية، فإن وجود المراقب الواعي يسبب فشل عمل الكوانتا كموجة طاقة ويحولها إلى مادة، والمراقب يجب أن يكون واعيا ليحصل هذا التحول. إذا حين نتكلم اليوم عن الروحانيات وعن الخلود لم نعد نتكلم عن افتراضات مبهمه، وإنما نتكلم عن القسم الأهم من بنيتنا، قسم لا يموت وإنما يكون في عالم آخر مختلف ولا سبيل لنا للتواصل معه. هو طاقة لا تفنى وهو الذي يقود كيانا المادي، أصبح ذلك حقيقة علمية مؤكدة من كثير من علماء الفيزياء. ويقول Lanza " الموت في نظرية الأكوان العديدة هو كحال انتهاء مسلسل على التلفزيون، عند الموت أنت تغير نقاطك المرجعية وتعيش حياة مختلفة في عالم مختلف. عند الموت يحدث تغير في مسيرة وعينا وفي علاقتنا بالزمان والمكان. الوعي هو طاقة تعمل في الدماغ والطاقة لا تموت. نحن مسافرون في الزمان من الولادة حتى الموت، أفكارنا ورغباتنا وبنية خبراتنا لا يمكن أن نجدتها في الذرات والمواد التي تشكل عالمنا المادي وستفر الحياة أخيرا من القفص المادي." وهو يقول " في مناسبة احتفال طلاب صفه للسنة ال ٣٥ تذكر صديقه له ماتت منذ سنوات عدة، هو يميل الى الاعتقاد أنها تشاهدهم من عالمها الآخر." يقول (Stephen Jay Gould) في كتابه (Rocks of Ages) "العلم يحاول أن يوثق الصفة الحقيقية لعالم الطبيعة وأن يضع نظريات تثبت هذه الحقائق والدين من جهة أخرى يعمل في مجال بنفس الأهمية ولكن كليا في عالم مختلف هو هدف الإنسان، معناه وقيمه." ويقول (Allen Lehman) وهو فيزيائي وإنساني في هارفارد: " لديّ مكان لكل من عالم الروحانيات وعالم الفيزياء، كما لدي مكان للعلم والدين. كل منهما له قوته الخاصة وجماله الخاص."

ربما جعل كل ما ذكرت بعضا من المثقفين الذين لا يقبلون إلا ما يستطيع كأس علمهم أن يستوعبه، كما قال العالم هايزنبورغ، ربما جعلهم ذلك أن يقبلوه كحقيقة علمية يصعب استيعابها كما أصبح هنالك حقائق مثبتة في فيزياء الكوانتا يصعب استيعابها (Uncertainty, Entanglement) ، هذا كان قصدي مما سبق . تلك هي الروح التي تكلمت عنها الروحانيات. هي من بنية مختلفة عن بنية كيانا المادي ولا يستطيع علمنا أن يعرف عنها فهي خارج المجال الذي يمكن لعلمنا إن يتحرك فيه، وهي خالدة لا تموت بموت كيانا المادي، كما يقول علماء معاصرون.

الحياة المقتصرة على البعد المادي تؤذي صاحبها والمجتمع. هي تؤذي صاحبها إذ هي تجعل اهتماماته تنصب على الكسب المادي من جاه ومال بلا حدود، هو يلهث دوما وراءها وبلا نهاية، ونجاحه يُقاس بقدر ما يكون له منها، هو يركض وراء هدف متحرك تنتهي قيمته بموت البنين المادي.

والمجتمع المؤلف من مجموع أفراد من هؤلاء سيكون مجتمعا ماديا تقوم العلاقات بين أفرادها على مبدأ الربح والخسارة المادية. (Huston Smith) وهو أستاذ في هارفارد توفي مؤخرا، في كتابه (Why Religion Matters) ، وهو يحاول أن يوصل رسالة تحذير إلى مجتمعه الغربي، يقول، "إنني أنظر إلى العالم الغربي من نافذة مختلفة وأرى الحياة بشكل مختلف. إن ما يجري يخنق الروح الإنسانية بسيطرة النظرة المادية للحياة، ولقد فقد العالم الحديث بعده الإنساني. وإنني غاضب من ذاتنا، نحن في الغرب، الذي سمح لنفسه أن يجعل أساس حياته قائما على المادة، مما أدى إلى أزمة روحانية سمحت له القيام بأعمال مشينة تشير إلى مدى التراجع الأخلاقي الجمعي، ويقول: في زمن الحداثة كانت مهمة الرجل الأبيض سرقة الشعوب في آسيا وأفريقيا، ويذكر حرب الأفيون، كما يقول أنه عام ١٩١٨ أقيمت حديقة حيوانات في بروكلين-نيويورك من ضمنها شخص أمريكي أسود في قفص بجانب أقفاص الشمبانزي والغوريلا، هذا إلى جانب الأزمات الأخرى كالفساد المناخي، وزيادة الفارق بين الغني والفقير." ويقول "ليتنا نظرننا إلى العالم بنظرة أكرم وأصوب،" نحن في عالمنا العربي خبرنا مدى الانحدار الأخلاقي الجمعي في تعامل حكومات الحضارة الغربية معنا، وكفى بغزة شاهدا.

هذا من ناحية التأثير السلبي للمادية المنفلتة في سلوك الفرد والمجتمع. ثمة أمر آخر:

الحياة فيها من المصائب والأحزان أكثر بكثير من الأفراح، الفرح يدوم فترة قصيرة والحزن يدوم طويلا، وقديما قال أبو العلاء المعري: تعبُ كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد

إن حزنا في ساعة الموت أضعاف سرور في ساعة الميلاد

الروحانيات تأخذ بيد الإنسان في مسيرته في هذا العالم الخطر، وقد ألقى به فيه على غير رأي منه، يتلمس طريقة في ظلمة، ويخبط خبط عشواء دون أية معرفة بشعابه المتداخلة، يصيب تارة ويخطئ أخرى، لا يدري إلى أين يسير، وما هو الغرض من هذه المسيرة ومتى وأين تنتهي، وهل سأترك كل ما جنيت حين يتهاوى هذا الجسد. في هذه الرحلة المخيفة كم هو الإنسان بحاجة إلى ما ينير له الطريق، وإلى عصا يتوكأ عليها إذا تعثر، وغالبا ما سيتعثر، هنا تأتي الروحانيات باختلاف مظاهرها، تقول له إن حياتك هذه ليست كل الرواية، فللقصة بقية يتوقف شكلها على ما تقوم به هنا، لحياتك هنا غاية تقصدها وهي ليست سدى. إن ما تجنيه روحانيا في دنياك هذه ستأخذ معك إلى هناك، إلى ذلك العالم الآخر الذي تكلم عنه الأنبياء والمصلحون قديما وعلماء الذرة حديثا، والذي ليس فيه شيء يشبه شيئا هنا، هناك ستسكن روحك بعد خلاصها من سجن جسدك. المؤمن بالروحانيات يركض في دنياه هذه وراء هدف يعرفه، وهو هدف يستحق التعب من أجله، رضا خالقه وخالق هذا الكون، وذلك بالكلم الطيب والعمل الصالح. هذا يجعل لحياته هدفا ومعنى. الروحانيات بفهمها الصحيح تنير لصاحبها طريق الحياة وهي عصا يتوكأ عليها إذا تعثر.

سيقول قائل: أنت جعلت فعل الخير مقتصرًا على الروحانيين مع أن الإنسان غير الروحاني يقوم بالأعمال الخيرة دون انتظار أجر عليها، وهذا صحيح. تجيب عليه كارن آرمسترونغ في كتابها (Fields of Blood) بأن الإنسان بفطرته فيه دافع خفي للخير، كما لو رأى أحد طفلا لا يعرفه يغرق فهو يري نفسه لإنقاذه فطرياً. يأتي الدين ليسقي هذه الفطرة ويشجعها ويقويها، ولولا وجودها أصلا لربما استحال إيجادها،

وسيقول آخر: لقد كان الدين في التاريخ سبب حروب شرسة أودت بحياة الكثيرين. وتجيب كارين آرمسترونغ كما يلي: " إن التفاؤل الذي رافق فترة التنوير بأن البشرية لن تشهد بعده أحداثا بربرية سرعان ما تبين فشله، فها هي مذابح اليهود في ألمانيا جرت وبوسائل علمية، ولقد كان هنالك مركز تجميع في إحدى الجامعات المهمة، ثم ها هي القنبلة. الذرية الأولى تزن ٣٦٠٠ كغ تلقى على هيروشيما لتدمرها وتقتل 140 ألف نسمة يتبعها بعد ثلاثة أيام على ناغازاكي لتدمرها وتقتل 24 ألف نسمة، أظهر هذا عدم الإحساس بقدسية حياة الإنسان الآخر، وأظهر ما يمكن أن يفعل الإنسان عندما تزول هذه القدسية، كما أنه يُظهر مدى فشل القيم الدنيوية المحضة (secular) التي تزيل مفهوم القدسية من قراراتها السياسية، هذه القدسية التي هي قناعة في قلب كل الأديان الشائعة. لقد أصبحت مصلحة الدولة أو الأمة كافية لتبرر استعمال الأسلحة المدمرة جماعيا ومنها الأسلحة النووية. وهي تقول (وهي إنكليزية). لقد فشلنا أن نعامل الآخر كما نريد أن نُعامل " وهو ما تدعوه القاعدة الذهبية، وهي قاعدة أساسية أيضا في جميع الروحانيات الشائعة. وتقول إن كل الأديان تصر على أن الروحانية الحقيقية تعبر عن ذاتها بتراحم مع الآخر وتخلي عن التمرکز حول الذات. وما يحدث من صراع حول الأديان مخالف لهدفها. الحروب هي خروج عن المنطق العلمي الفكري كما هي خروج عن الروحانية الحقيقية."

صحيح أن الأديان فشلت مرات في التاريخ في لجم القوة الشريرة في النفس البشرية، والمتمثلة بأبشع مظاهرها بقتل الإنسان الآخر، وكانت حروب شرسة. إنما العلمانية الحديثة لم يكن فشلها أقل بشاعة متمثلا بالحريين

العالميتين في القرن الماضي ثم الحروب التي تلت وما زالت تتوالى ددن انقطاع يُقتل فيها عشرات وربما مئات الألوف. العلمنة (scientism) لم تفشل فقط في كبح الحروب بل قدمت لها، وما زالت تقدم وبتزايد، أسلحة أكثر قتلا وتدميرا. هل أصبح العلم والعلماء وبلا على البشرية بعد أن انحرف عن هدفه المفروض، وهو خير الإنسانية، ليصبح وسيلة ربح مادي أو وسيلة قوة عسكرية يقتل بها الإنسان الإنسان.

ثمة أمر آخر: الروحانيات بمفهومها الصحيح، تُغير لدى الإنسان تقييم الأشياء والأحداث نتيجة اعتبار حياتنا المادية هذه فصلا قصيرا يوصل إلى الحياة الخالدة، هذا بحد ذاته يجعل الارتكاس سلبا أو إيجابا أقل شدة وقد يغيره كليا، وهي بهذا تقي المؤمن من ارتكاسات عاطفية شديدة. وحتى أنها تقدم للمؤمن وسائل تجلب له السعادة، وهي هدف كل إنسان في هذه الحياة. تجعله يشعر أنه يحقق هدفا في حيلته، تقول رابعة العدوية: لو علم الملوك السعادة التي نحن فيها لحاربونا من أجلها. الروحانيات بفهمها الصحيح تضع لك إشارة ضوئية على طريق الحياة، خضراء في المسيرة الحسنة وحمراء إذا انحرفت.

إذا كانت الحياة لا تخلو من صعوبات. وكان الجهد المبذول خلالها وراء هدف مآله سراب، واقتصرت على هذا الكيان المادي معروف النهاية المحتومة الحزينة، فهي رواية باردة سخيفة متكررة لا تستحق العرض أو المشاهدة، وهي تجربة خاسرة حتما لا تستحق الخوض فيها. الروحانية تعطيهما بعدا مختلفا، تعطيهما هدفا تركز وراءه لا يتلف، يجعل لها منظرا مختلفا عندما تنظر إليها لتقييمها قبيل رحيلك.

John Bogle الثري جدا في أمريكا في كتابه (Enough) والذي كتبه بعد إجراء عملية زرع قلب له، يروي القصة التالية:

شخص رأي صديقا له يملك كلبا جديدا، سأله عنه فقال هو كلب سباق يحمل ميداليات وهو معروف في عالم سباق الكلاب، فجأة امتنع عن المشاركة في سباق الكلاب رغم كل المحاولات فأعطاه لصديقه هذا. ولم امتنع عن الركض، لا أدري دعنا نسأله: لم امتنعت عن الركض؟ لن أركض. هل قصر صاحبك معك؟ كلا، كان لي أطيّب طعام الكلاب وأفخر ثيابها وأنا معهم أينما ذهبوا. إذن لم امتنعت عن الركض؟ اكتشفت أن الأرنب الذي أركض وراءه أرنب زائف. وهكذا أخشى أن يكون الأرنب الذي يلهث وراءه الماديون.

اكتشف الإنسان منذ أقدم العصور أن الروحانية ضرورة حياتيه وكان لها أشكالها، وتمرد حديثا بغروره بعلمه لفترة قصيرة ليجد نفسه تجاه حقائق علمية تدعم غير ما كان يظن، وليجد كم خسر من سعادته وزهوتها وقد جفت بدون وجهها الروحي كما أظهرت كثير من الدراسات، (دراسة هارفارد) وها هو الآن وقد بدأ بالعودة.

الروحانية لا تطلب منك أن تهمل دنياك؛ إنما تريدك أن توازن بين مطالب دنياك وآخرتك. (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض) القران ٢٨-٧٧

أنا أرى ما يشير إلى أن العلم والروحانية سيتعايشان في المستقبل القريب، وغالبا سيعملان معا في صياغة حياة أفضل للإنسان الذي تعب من صراعات عبثية مدمرة، جعلت الإنسانية مكانا خطرا والزواج والإنجاب جريمة.

النتائج:

تتناول النصوص المطروحة العلاقة المعقدة بين الأديان والعلمانية، وتبرز الفشل التاريخي لكليهما في كبح القوة الشريرة في النفس البشرية، والتي أدت إلى حروب دموية ومآسي إنسانية. بينما فشلت الأديان في تقليل معدلات العنف، فإن العلمانية الحديثة لم تكن أقل بشاعة، إذ شهد القرن الماضي حروباً عالمية راح ضحيتها الملايين، وقد ساهمت العلم في توفير أدوات دمار أكثر فتكاً.

تشير الحججة إلى أن العلم، الذي كان يُفترض أن يكون منارة للإنسانية ووسيلة لخدمة المجتمع، انحرف عن هدفه الأساسي ليتحول إلى وسيلة لتحقيق مكاسب مادية أو قوة عسكرية، مما جعل العلماء وكأنهم وباء على البشرية. في تعارض واضح، تلعب الروحانيات، بمفهومها الصحيح، دوراً مهماً في توجيه الإنسان نحو تفهم أكثر عمقاً للوجود، حيث تساهم في تغيير تقييماته للأشياء والنشاطات الحياتية. فرؤيتها للحياة كمقدمة لوجود أعمق وأكثر استدامة تسهم في تقليل ردود الفعل السلبية وتحقيق حالة من السعادة المستدامة، كما تشير إلى ذلك الحكمة الشهيرة لرباعة العدوية.

يستعرض النص أيضاً تجربة ثري أمريكي يُدعى جون بوجل، التي تستند إلى حكمة مفادها أن البحث عن القيم المادية يمكن أن يكون مضللاً، حيث يكتشف الفرد في النهاية أن كل ما يسعى خلفه لا يعدو كونه "أرنبا زائفاً". هذه الفكرة تعكس حقيقة أن الروحانية، التي عرفت منذ القدم، تظل ضرورة حياتية في ظل الاكتشافات العلمية التي تُظهر قيمة البعد الروحي.

من المهم التأكيد على أن الروحانية لا تدعو إلى إهمال القيم الدنيوية، بل تشدد على أهمية التوازن بين الحياة المادية والروحية. المبدأ القرآني الذي يُحث على تحقيق التوازن هو دليل واضح على ذلك.

يُمكن القول إن هناك دلائل تشير إلى إمكانية التعايش بين العلم والروحانية في المستقبل القريب، مما قد يُفضي إلى تطوير حياة أفضل للإنسانية، تُخفف من الصراعات العنيفة التي تسببت فيها الإفراطات البشرية، وتضع الإنسانية على مسار أكثر سعادة وسلاماً.

المراجع:

القرآن الكريم

Hoffman, D. (2019). *The Case Against Reality: Why Evolution Hid the Truth from Our Eyes*. New York: Norton & Company.

Wigner, E. P. (1963). The Unreasonable Effectiveness of Mathematics in the Natural Sciences. *Communications in Pure and Applied Mathematics*, 13(1), 1-14.

Lanza, R. (2016). *The Grand Biocentric Design: How Life Creates Reality*. New York: BenBella Books.

Schrödinger, E. (1935). Die gegenwärtige Situation in der Quantenmechanik. *Naturwissenschaften*, 23(48), 807-812.

Bohr, N. (1958). *Atomic Physics and Human Knowledge*. New York: Wiley.

Planck, M. (1931). *The Universe in the Light of Modern Physics*. New York: H. Holt and Company.

Einstein, A. (1954). Ideas and Opinions. New York: Crown Publishers.

Lanza, R. (2015). Beyond Biocentrism: Rethinking Time, Space, Consciousness, and the Illusion of Death. New York: BenBella Books.

(n.d.). Double Slit Experiment. Retrieved from.

Bogle, J. C. (2008). Enough: True Measures of Money, Business, and Life. New York, NY: Wiley.

Harvard University. (2019). Study on spirituality and happiness. Retrieved from [رابط الدراسة موضوع سرقة]
[السعادة في الإنسان].